لا خير فى علم بلا عمـــل

للأستاذ عريان سعد

بقى لى حديث عام نخرج منه بحكم الكليات عامة ، وقد أصبحوا علماء فى فروع الحياة التى درسوا نواحيها الخاصة كل فى كليته التى اختارها .

ما فائدة هذا العلم ان لم يكن صاحبه عاملا به مستفيدا منه ، يحميه ويستثمره كلما تمت بالخبرة والمران ، ما فائدة العلم لصاحبه ان لم يرفعه بين الناس ، وما فائدة الناس من العلم ان لم يكن لصاحبه فضل بعلمه وان لم يساعد هذا العلم على رفع مستوى الحياة فى ناحيته الخاصة.

عالم الدين ان لم يستثمر علمه فى مصاحبة الشعب بالوعظ والارشاد وتوجيـه الناس لسبيل الخير يوم تتشعب السبل، ولحل مشاكلهم النفسية والروحية يوم تتعقد هذه المشاكل، أتراه يكون راضيا عن نفسه يوم لا يعمل شيئا من ذلك ويوم يحيى حياة يشارك فيها من ليس عالما مثله ويشاركه فيها عامة الناس ؟

والعالم بالزراعة ان ترك الزراعة ، أتراه يحس وهو يعيش فى المدينة يؤدى عملا آليا إن اتصل بالزراعة فهو يتصل بها بالمراسلة عن بعد ، أتراه يستريح الى تكديس علمـه فى صدره لا يفيد منه ولا يفيد الناس .

وكذلك المهندس وخريج التجارة ان هجروا مهنهم ، فهل لمهنهم فائدة فى علمهم ؟ الجواب على هذا كله أن العلم ان لم يصحبه العمل به فحكمه حكم الكنز المدفون أو المنجم الذى لا يستخرج المعدن الذى فى جوفه، هو موجود من غير شك وله قيمتـه وله اعتباره، ولكن فائدته معدومة أو موقوفة الى أن يستغل ويستثمر .

لقد أوجدنا فى البلاد كنزا علميا عظيما ولكن الخطوة التالية أهم واعظم وهى استغلال هذا الكنز الثمين ، فان لم يستغل فقد ضاع ما أنفق فى ايجاده من جهد ومال هباء منثورا .

كانت سياسة التعليم فيما مضى لها هدف واحد وهو تحضير موظفين للحكومة ، موظفين متعلمين تعليما عاليا يحلون محل الموظفين القدماء الذين كانت كل مؤهلاتهم أنهم يفكون الخط وفك الخط هذا تعبير له دلالة خطيرة ، فقد كان الخط يعتبر طلاسم ، من قرأ الخط فقد فك الطلاسم ، ومن هنا نشأ التعبير ، وظاهر أن نشأة هـذا التعبير ترجع الى انتشـار الأمية أو قل تعميمها .

وكان كل من يتخرج من المدارس مصيره المحتوم أن يعين فى الحكومة ، ذلك لأن الوزارات كانت فى دور التجديد أو الانشاء ، فهما تخرج من المدارس من الشبان كان لهم فى الوظائف جديدها وقديمها متسع .

ولكن دور الانشاء والتجديد فى الحكومة قد انتهى وكملت الآلة الحكومية بل قـد تضخمت فلا تحتاج اليوم وبعد اليوم الا الى (قطع غيار) بدل من يحال الى المعاش ، أو

يموت ، أو يفصل ، وهذا عدد بسيط محدود ، لا يبلغ نسبة مئوية تذكر من خريجى الكليات ربما كانت فى مجموعها حوالى الـ ٢٥٪ فما مصير الباقين وهم ثلاثة أرباع شباب مصر المثقف .

لفتة واحدة من الشباب الى العمل الحر ستجعله يتجه اليه فى قوة الشباب وحماسته فلا يمر وقت طويل حتى يجرف الشباب أمامه تلك المجهودات البالية الزنة التى يبذلها فى ميدان العمل الحر رجال لا علم لهم ولا ثقافة .

نعم لفتة واحدة من خريجى الجامعة الى الحياة الحرة الى هذا الكنز لا أقول المدفون فهو ليس بالمدفون انما وهو فى أيد لا تعلم تفاصيله واسراره وأنما هى متداولة عن غير علم فتستثمره استثمارا ناقصا تضيعه وتضيع ثمرته فيقتطفها الاجانب والدخلاء فيغتنون ونبقى نحن فقراء .

والدليل قائم نشهده فى حسرة ولوعة نشهده فى الاجانب الذين نزلوا ولا يزالون ينزلون الى البلاد لا شىء معهم سوى قليل من الخبرة وكثير من الرغبة والصبر فاذا هم يعيشون عيش البذخ والغنى بعد العوز والحاجة .

انى اوجه نظر الشباب الى ما حولهم من أبواب رزق يدخلها دونهم من هم احق منهم بدخولها .

هذه المتاجر التى لا يملكها مصريون يتاجر اصحابها ويربحون أليست أولى بأن يتولاها الشباب من المصريين المثقفين وكل عملائها من المصريين ؟

وهذه الصناعات الصغيرة والكبيرة يتولاها غير المتعلمين اليست حق الشباب المثقف يلم عنها فيتولاها غيره فلم لا يمد اليها يده القوية التى يسندها العلم فيغترف خيره .

هذه اللفتة من الشباب المثقف نحو الاقتصاد الوطنى ستكون بدء نهضة اقتصادية هى النتيجة الحتمية للنهضة العلمية ، وإلا فالنهضة العلمية كأنها لم تكن ولا خير فى علم بلا عمل .

يجب إذن أن يفكر الشباب المثقف وأن يفكر فى جد وحماسة حتى لا يضيع عامه ويضيع مجهوده هباء منثورا .

ولا بد من تعاون الشباب على تحقيق هذا الغرض والشباب مجتمع فى اتحاد خريجى الجامعة ولا يعوزه إلا أن يتجه هذا الاتجاه وأن يفكر فيه وأن ينشئ جماعة منه توجه مجهوده الوجهة الصحيحة .

فهل لى أن أناشد اتحاد الجامعة أن يقوم بهذه الخطوة المباركة وأن يؤلف جمعيات تنشئ نواة لكل عمل فى الصناعة والزراعة والتجارة .

ان البلاد على استعداد لتشجيع أى عمل من هذا النوع وان أقرب الأمثلة على هذا التشجيع ما صادف شركة فهمى للسجاير من نجاح حتى احتلت الشركة بسبب لا يرجع إلى عدم تشجيع الشعب .

ويجب أن يكون فشل تلك الشركة حافزا للشباب من أصحابها ومن غير أصحابها لا أن يكون ذلك الفشل مثبطا للهمم والعزائم .

ولعل أروع مثل أسوقه للشباب هو طلعت حرب منشئ بنك مصر ومؤسساته .

لقد أنشأ طلعت حرب قبل بنك مصر بنكا سماه البنك المصرى انتهى أمره بالفشل . فلم يكن ذلك الفشل إلا حافزا لطلعت حرب ودرسا له فأنشأ بنك مصر واحتاط فى إنشائه لأسباب الفشل السابق فنجح البنك وخطا باقتصاد البلاد خطوات ليست فى حاجة إلى شرح أو بيان .

ويجب أن يستعد الشباب الذى يقتحم طريق العمل الحر للفشل والنجاح على السواء فكل عمل فى الدنيا عرضة لهذا وذاك ويجب أن يكون الفشل فى مشروع حافزا لبدء مشروع آخر وأن لا تكون همة الشباب معلقة على المحاولة الأولى إن نجح فيها استمر وإن فشل نكص على عقبيه .

إن بدء الاتحاد فى هذا الطريق سوف يكون حجر الأساس فى صرح اقتصادى جديد يبنيه ويتعهده شباب مصر المثقف بدل أن يضيع وقته فى طلب انصاف الجامعيين وتعديل درجاتهم يجب أن ينهض الجامعيون بالبلاد لا أن تنهض البلاد بالجامعيين .

يجب أن ينهض العلم بالاقتصاد القومى لا أن ينهض الاقتصاد القومى بالمتعلمين ويساعدهم .

نعم يجب أن يكون المتعلمون هم أهل القوة والثروة فينهضون بالبلاد لا أن يطالبوا الحكومة بأن تنهض بهم .

هذا ليس لوما للجامعيين ولا فتا فى عضدهم وانما هو نداء لهم واستغاثة بقوتهم وعلمهم وتوجيه لهم الى ناحية كلها خير وظلها رخاء بل هى مصدر الخير والرخاء .

نريد أن يكون الجامعيون عصب الحياة الاقتصادية فى البلاد لا أن يكونوا حاشية فيها .

نريد أن يتاجروا ويزرعوا ويصنعوا فتكون الثروة فى أيديهم ويكون المجد لهم لا لغيرهم .

هذا نداء الايمان بالشباب المثقف سيجيب هذا النداء من غير شك فقد عود البلاد أن يجيب نداءها للبذل والتضحية فيذول ويحمى ولئن أجاب نداء التضحية فهو من غير شك سيجيب النداء إلى الكسب والثراء .

أيها الشباب لقد مضى دور التضحية والألم وجاء دور الكسب والعمل وإذا كان طريق التضحية يحتاج إلى قوة الايمان بحق الوطن فان العمل والكسب والثراء أحوج إلى الايمان بحق الوطن فان كانت التضحية قد أجيب النداء اليها فانى أظن أن النداء إلى الكسب والثروة أحق بأن يجاب .

عريان يوسف سعد